

**سيف النمشة القرنين 7 - 13 هـ / 13 - 19 م
« دراسة تعريفية لسيف مجهول »**

**Nimsha Sword, 7th-13th of Hegira /13th-19th
centuries «An introductory study of an
unknown sword»**

أد بدر الدين شعباني / جامعة قسنطينة 02

سيف النمشة القرنين 7 – 13 هـ / 13 – 19م

«دراسة تعريفية لسيف مجهول»

Nimsha Sword, 7th-13th of Hegira /13th-19th centuries

«An introductory study of an unknown sword»

أ د بدر الدين شعباني

جامعة قسنطينة 02

ملخص:

يعد هذا السيف نتاج عمل طويل وشاق في مجال الفنون التطبيقية، يشهد على حكمة ودراية بالحرفة ومعرفة علمية بصناعة السلاح، توارثت أسرار صناعته الأجيال صاغرا عن كبر بالعادة والتقليد، فهو أثر حي لمرحلة غنية وحافلة من تاريخ الحضارة الإسلامية عرفته بلدان المغرب وحوض البحر الأبيض المتوسط عامة، والمغرب الأقصى بصورة خاصة، ذلك أن هذا الأخير عرف كيف يحافظ على صناعاته التقليدية أطول فترة ممكنة، كما أنها تم عن ذوق رفيع في مجال الفن الإسلامي.

وهذا السيف قبل كل شيء قصة وعبرة، تاريخ وأسطورة، وهو في السيوف العاملة في الميدان الأطول عمرا، والأكثر صولة وجولة بين سيوف الأرض قاطبة، ففي الوقت الذي بقيت فيه السيوف قابضة في حدود نطاقها الجغرافي انتشر هذا السيف عبر جل أقطار العالم الإسلامي، وإلى أصقاع مختلفة من المعمورة. وبرغم بعض الدراسات التي أجريت هنا وهناك حول سيف النمشة موضوع هذا العرض إلا أنها لا تعد كافية من وجهة نظرنا ذلك أنها لم تمنحه حقه من التحقيق والتدقيق، لتبقيه مجهولا وسط مجموعة كثيرة من الأسئلة العالقة دون إجابة حول هذا السيف.

الكلمات المفتاحية: النمشة – سيف زناتي – قبائل زناتة – مصانع غرناطة – طليطلة – سولنجين.

Abstract:

This sword is the product of a long and a hard work in the field of applied arts, attested the practical knowledge and scientific cleverness in making arms. Ancestral secrets of Know-How, it is really a living fingerprint of a rich history of the Islamic civilisation, which the Maghreb and the countries of the Mediterranean witnessed, Morocco in particular. The latter was aware of how to preserve this traditional industry for the longest period possible, which stands as a living proof of the splendid of the Islamic art.

This sword is a story and a lesson at the same time; it is among the swords of a long life and a worldwide use. Whilst all of the swords were confined at the local level, the Nimsha sword spread in all over the Islamic world and other countries. Despite the availability of some of the studies carried out here and there about Nimsha sword (subject of this exposé), they are not sufficient enough from our point of view, because they did not demonstrate its real value. So that. It still unknown among so many unanswered questions reading said sword.

Keywords: The Nimcha – Zenata Sword – Zenata Tribes – Granada factories – Toledo – Solingen.

مقدمة:

تعد السيوف ذات أهمية بالغة من الناحية التاريخية والحضارية في عملية تأريخ المرحلة الحديثة، إذ تحدد دراستها المرحلة الانتقالية بين نوعين من السلاح، الأول فقد مكانته وأهميته في ميدان الصراع وهو السلاح الأبيض وبخاصة السيف، والآخر سلاح جديد سرعان ما أخذ يحتل الريادة تدريجيا حتى أصبح الأول دون منافس في ميادين الحروب وهو السلاح الناري، ويعد السيف الذي نحن بصدد دراسته شاهدا على هذه المرحلة الانتقالية باعتباره سلاحا عايش فترة ازدهار الأسلحة البيضاء وصولا إلى مرحلة تقهرها ثم تراجعها لصالح الأسلحة النارية.

ولا تنحصر أهمية هذا السلاح في الناحية العسكرية فقط، ولكن تتعداها إلى الناحية الاجتماعية والثقافية، فمجتمعات العصر الوسيط ومن بعدها مجتمعات العصر الحديث كانت تولى هذا السلاح أهمية بالغة حتى احتل السيف أعلى الرتب في هذه المرحلة التاريخية، واستمر الأمر على هذا النحو حتى ظهور الأنماط الجديدة من الأسلحة العاملة بالنار.

كما أن هذا السيف تعدى هذه الصفات ليصبح شاهدا على تطور نوعي في مجال صناعة الأسلحة البيضاء شمل ضفتي حوض البحر الأبيض المتوسط، وكذلك شاهد على الانتقال المتبادل لتقنيات الصناعة وأساليب الزخرفة بين الضفتين. ورغم بعض الدراسات التي أجريت هنا وهناك حول سيف النمشة موضوع هذا العرض إلا أنها لا تعد كافية من وجهة نظرنا ذلك أنها لم تمنحه حقه من التحقيق والتدقيق، لتبقى مجموعة كثيرة من الأسئلة حول هذا السيف عالقة، ودون إجابة.

فما قصة هذا السيف؟ وما الظروف الطبيعية والتاريخية التي صاحبت ظهوره؟ وما هي البيئة الثقافية والاجتماعية التي ساعدت على استمراره كل هذه المدة؟ ثم ما العوامل التي ساعدت على انتشاره مشرقا ومغربا منذ ظهوره حتى العصر الحديث؟ أما من الناحية الفنية والتطبيقية فإن صناعة السيوف الجيدة تتطلب المواد الأولية الجيدة، واليد العاملة الماهرة، مضافاً لها الخبرة الكافية، فما اليد الماهرة التي أخرجته بهذه الصورة؟ وما مصدر المواد الأولية المصنعة، ونصف المصنعة التي تم توظيفها في صناعته؟ وسنحاول من خلال هذا العرض الإجابة على مجموع هذه الأسئلة.

أولاً: الإطار التاريخي والطبيعي لسيوف النمشة

السيف هو الاسم الذي أطلق على هذا النوع من السلاح منذ القِدَم، وهذا المصطلح عامٌ بغض النظر عن صنفه أو شكله، وهو سلاح هجومي أو دفاعي يستعمل باليد، وله نصل طويل قد يكون مستقيماً أو منحنيًا مصنوع من الحديد أو الصلب، وهذا النصل مثبت في مقبض له في كثير من الأحيان واقية تقي اليد، وتتوقف وظيفته في الطعن أو القطع على شكل نصل السيف، وإذا كان له حد أو حدان¹.

أما عن سيف النمشة، فبحسب الدراسات والبحوث التي أجريتها حول الموضوع يعود أصل تسميته إلى اللغة الفارسية (المنجه - AL Nimjah)، وهذا الاسم مركب من شقين «نيمه» وهو علامة تصغير تعني النصف، و «چهره» ومعناه الوجه، وقد حُرِفَت وعدلت الكلمتان بأن حذف حرف الهاء في الكلمة الأولى، وحرفي الهاء والراء في الكلمة الثانية، وأبدل حرف الجيم بحرف الشين لتصبح نمشة.

والظاهر أن هذا النوع من الإبدال في اللفظ بين الحرفين شائع عند أهل زناتة معقل هذا السيف ومنبته، فقد جاء عند ابن خلدون في العبر: «... واسم زناتة: جانا بالجيم، ويقال شانا بالشين المعجمة...»²، ويضيف كذلك: «... أعلم أن أصل هذه اللفظة التي هي زناتة من صيغة جانا التي هي اسم أبي الجيل كله، وهو جانا بن يحيى المذكور في نسبهم، وهم إذا أرادوا الجنس في التعميم ألحقوا بالاسم المفرد تاء فقالوا جانات، وإذا أرادوا التعميم زادوا مع التاء نونا فصار جاناتن، ونطقهم بهذا الجيم ليس من مخرج الجيم عند العرب بل ينطقون بها بين الجيم والشين واميل إلى السين، ويقرب للسمع منها بعض الصغير فأبدلوها زايا محضة لاتصال مخرج الزاي بالسین فصارت زانات لفظاً مفرداً دالاً على الجنس ثم ألحقوا به هاء النسبة، وحذفوا الألف التي بعد الزاي تخفيفاً لكثرة دورانه على الألسنة والله أعلم...»³، وبناء عليه فإن كلمة المنجه الفارسية قد تحولت إلى النمشة في عرف أهل زناتة.

وهذا ما يحملنا على القول بأن اسم النمشة يعني نصف الوجه، أي نصف وجه الحيوان الذي نفذ بطريقة محورة عن الطبيعة في مؤخرة مقبض سيف النمشة، ولا يخفى على أحد أن التحوير عن الطبيعة خاصة من خصائص الفن الإسلامي، طبقتها الفنان والحرفي المسلم على منتجاته في جل الأقطار الإسلامية.

إن الوجه المطبق شكله بطريقة محورة عن الطبيعة أسفل مقابض سيوف النمشة هو أقرب ما يكون إلى وجه الفرس أو الحصان، ولقد كانت الفرس ولا تزال أقرب الحيوانات وأعزها لدى الفارس العربي أو المحارب البربري على السواء، فكما تعلق العربي في صحرائه بفرسه العربي الأصيل تعلق البربري كذلك بحصانه البربري الأصيل. فقد كانت العرب ترتبط الخيل في الجاهلية والإسلام معرفةً بفضلها، وما جعل الله تعالى فيها من العز والجمال والمنعة والقوة على عدوهم، وتشرفاً بها، وتصبراً على الحمصة والأواء، وتخصها وتكرمها وتؤثرها على الأهليين والأولاد، وتفتخر بذلك في أشعارها، وتعتد لها. فلم تزل على ذلك من حب الخيل، ومعرفة فضلها حتى بعث الله نبيه، عليه السلام، فأمره الله باتخاذها وارتباطها، فقال: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ

وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾. «الأنفال: 60»

ولما جاء رسول الله، عليه الصلاة والسلام، اتخذ الخيل وارتبطها، وأعجب بها، وحض عليها، وأعلم المسلمين ما لهم في ذلك من الأجر والغنية، وفضلها في الشَّهَان على أصحابها، فجعل للفرس سهمين، ولصاحبها سهماً⁴، بحسب رواية الأوزاعي، وجعل لها سهماً واحداً ولصاحبها سهم واحد بحسب رواية أبي حنيفة. كما جاء عن عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «الخيال في نواصيها الخير إلى يوم القيامة»⁵.

وعن جرير قال: «رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يلوي ناصية فرسه بيده ويقول الخيال معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة»⁶. وعن عتبة بن أبي الحكم قال حدثني حصين بن حرملة عن أبي المصباح عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «الخيال معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة زاد سويد وحبان في حديثها، وأهلها مثابون فامسحوا نواصيها، وادعوا لها بالبركة، وقلادوها ولا تقلدوها الأوتار»⁷.

وروي عن النبي ﷺ أنه قال: أول من خلق الله من الخيال خلق فرساً كميّاً، وقال عز وجل: خلقتك عربياً وفضلتك، على سائر ما خلقت من البهائم بسعة الرزق والغنائم، تقاد على ظهرك والخيال معقود بناصيتك، ثم أرسله فصله: فقال جل وعلا: يا كميّ! بصهيلك أهرّب المشركين، وأملاً مسامعهم، وأزلزل أقدامهم، ثم وسمه بغرة وتحجيل. فلما خلق الله آدم! قال: يا آدم! اختر أي الدابتين، يعني الفرس أو البراق فقال: يا جبريل اخترت أحسنها وجهاً، وهو الفرس، فقال تعالى: ﴿يا آدم! اخترت عرك وعز ولدك باقياً ما بقوا وخالداً ما خلدوا﴾⁸.

وإذا كان سيدنا آدم قد اختار أحسنها وجهاً فلا ضير أن يضع هذا العربي أو البربري هذا الوجه في مقبض سيفه ويتقلده حتى يسفع بناصية فرسه نحو الجنة⁹، ذلك أن رسول الله ﷺ في بعض أيامه التي لقي فيها العدو قال: «يا أيُّها الناس لا تتمنوا لقاء العدو وسلوا الله تعالى العافية فإذا لقيتموهم فاصبروا واعلموا أنَّ الجنة تحت ظلال السيوف». ثم قال: «اللهم منزل الكتاب ومجري السحاب وهازم الأحزاب اهزمهم وانصرنا عليهم»¹⁰.

لقد سكنت القبائل الزناتية الجبل المعروف باسمهم واتخذت أسلوب الحط والترحال على سنة العرب أسلوباً لمعيشتهم، وجاء وصفها عند ابن خلدون كما يلي: «هذا الجبل في المغرب جبل قديم معروف العين والأثر، وهم لهذا العهد آخذون من شعار العرب في سكنى الخيام، واتخاذ الإبل وركوب الخيل، والتقلب في الأرض، وإيلاف الرحلتين وتخطف الناس من العمران، والإبابة من الاتقياد إلى النصفه، وشعارهم من بين البربر اللغة التي يتراطنون بها، وهي مشتهرة بنوعها عن سائر رطانة البربر.

ومواطنهم في سائر مواطن البربر بإفريقية والمغرب، فمنهم ببلاد النخيل ما بين غدامس والسوس الأقصى حتى أن عامة تلك القرى الجريدية بالصحراء منهم، ومنهم قوم بالتلول بجبال طرابلس وضواحي إفريقية وبجبل أوراس بقايا منهم سكنوا مع العرب الهلاليين لهذا العهد وأذعنوا لحكمهم والأكثر منهم بالمغرب الأوسط حتى أنه ينسب إليهم ويعرف بهم فيقال وطن زناتة، ومنهم بالمغرب الأقصى أم آخر، وهم لهذا العهد أهل دول وملك بالمغربيين وكانت لهم فيه دول أخرى في القديم ولم

يزل الملك يتداول في شعوبهم حسبما نذكره بعد لكل شعب منهم إن شاء الله تعالى»¹¹.

وكان بنو مرين شعب من شعوب زناتة فقد قال ابن خلدون عند ذكرهم ما يلي: «... وكان بنو مرين منهم قبل استيلائهم على ملك المغرب طواعن بمجالات الفقر من فجيج إلى سجلماسة إلى ملوية، وربما يخطون في ظعنهم إلى بلاد الزاب ويذكر نسبهم أن الرياسة كانت فيهم في تلك العصور لمحمد بن ورزيز بن فكوس بن مرين، ومرين يتصل نسبه بزانا بن يحيى أبي الجليل»¹². ثم بقي فرع منهم ممثلا في بني وطاس في ملك آبائهم حتى سنتي 1420 - 1550م، ليعوضهم الأشراف السعديين العلويين بالمغرب بين سنتي 1554 - 1659م، فالدولة العلوية منذ سنة 1666م إلى اليوم.

(2)- الأصول التاريخية لسيوف النمشة

تعود الجذور التاريخية لسيوف النمشة إلى عصر السلطان يعقوب بن عبد الحق المريني، ففي الفترة التي اشتغل فيها بنو مرين وبنو عبد الواد وبنو حفص في الصراع فيما بينهم، ومنذ وقعة العقاب (609 هـ/1212م) ثار أهل الأندلس وطغى أهل النصرانية، وأرادوا احتلال كل الأندلس، ولما ضاقت المنافذ بسلطان بني الأحمر - المدعو بالفقيه - أبو عبد الله محمد الثاني (672-681 هـ/1273-1302م)، استصرخ السلطان المريني يعقوب بن عبد الحق، وأوفد عليه مشايخ الأندلس، نجاءت الطاعة الكبرى على أهل الكفر وعزم السلطان على الغزو بنفسه، فاشتراط عليه النزول عن بعض الثغور بساحل الفضة لاحتلال عساكره، فتجافى له عن ردة وطريف، ولما نزل بطنجة بادر إليه ابن هشام السائر بالجزيرة الخضراء وأجاز إليه، ولقيه بظاهر طنجة فأدى له طاعته وأمنه من قياد بلده¹³.

ولتأمين ثغور بلاده من عادية يغمراسن في الفتنة بعث حفيده تاشفين بن عبد الواحد في وفد من بني مرين لعقد السلم مع يغمراسن، والرجوع للاتفاق، والموادة، ووضع أوزار الحرب بين المسلمين للقيام بوظيفة الجهاد فأكرم هذا الأخير موصله، وموصل قومه وبادر إلى الإجابة والألفة، وأوفد مشيخة بني عبد الواد على السلطان لعقد السلم، وبعث معهم الرسل وأسنى الهدية وجمع الله كلمة الإسلام. وعظم موقع هذا السلم من أمير المسلمين لما كان في نفسه من الصاعية إلى الجهاد وإيثار مبرورات الأعمال، وبث الصدقات يشكر الله على ما منحه من التفرغ لذلك ثم استنفر الكافة، واحتشد القبائل والجموع، ودعا المسلمين إلى الجهاد، وخاطب في ذلك كافة أهل المغرب من زناتة والعرب والموحدين، والمصامدة، وصنهاجة، وغمارة، وأوربة، ومكناسة، وجميع قبائل البرابرة، وأهل المغرب من المرتزقة والمتطوعة وأهاب بهم، وشرع في إجازة البحر فأجازته من فرضة قصر المجاز بطنجة لصفر من سنة أربع وسبعين وستائة - (وهو ما يوافق 1275م) -، واحتل بساحل طريف¹⁴.



نموذج السيوف المهنددة الزناتية المنتقلة مع الجيش المريني إلى بر الأندلس القرن 7هـ / 31م

لقد كانت القبائل الزناتية عصب الجيش المريني المنتقل إلى ضفة الأندلس حاملة معها رماحها العطفية - المزاريق -، ودرقها اللمطية وسيوفها المهنددة (نصالها هندية) - التي حملت فيما بعد اسمها: السيوف الزناتية، وممتطية أحصنتها البربرية الأصلية المسرجة على الطريقة الزناتية، والتي هي أشبه ما تكون بالأحصنة العربية من حيث خصائصها الفيزيائية، سوى أن وجوهها أكبر حجماً مقارنة بوجوه الأحصنة العربية، ورقابها متوسطة الطول، وأبدانها أطول وأضخم نسبياً، أما أعضاؤها فصلبة وبخاصة الكتف، وظفرها ثابت، وينحدر ذيلها على الردف، وهي أحصنة قوية تتحمل مصاعب الحياة القاسية. ولا أدل على ذلك مما جاء عند الأمير عبد القادر الجزائري في وصف فرسه الأشقر:

وأشقر تحتي كلمته رماحهم ثمان ولم يشك الوجى بل ولا التوى

ويذكر الأمير محمد بن الأمير عبد القادر الجزائري ما بدا من صلابة وثبوت فرس والده يوم واقعة وادي أرهيو ضد المستعمر الفرنسي بالغرب الجزائري فيقول: « . سمعت منه أنه ركب يوم أرهيو من أيامه مع دولة فرنسا، وقد ألجأ الأمر إلى نهره وعرضه أربعون ذراعاً فشدد عليه فوثبه ولم يتلعم، وكان هذا الفرس يعرف بالكيمت لونا وإسماً».

ومما يناسب هذه الأعجوبة في الإسراع المفرط ما سمعته منه أبقاه الله على فرسه المعروف بالولهاصي¹⁵، وكان أدهم اللون قال: سرت عليه في بعض متعلقات الحرب مسيرة أربع مراحل للخيال المجد في ليلة واحدة، وكان القوم الذين أصل إليهم يركبون معي إلى قوم آخرين فيركبون معي، وهكذا إلى أن وصلت إلى المحل الذي قصدته فشاع ذلك وذاع وبلغ الأعيان والرعاع¹⁶.

(2) - السيف الزناتي الأندلسي (Jineta)

لم ينتقل السيف الزناتي إلى الجزيرة الأيبيرية بطريق التجارة ولكن انتقل إليها عن طريق الحروب الدائرة رحاها بين المسلمين والمسيحيين بالأندلس بعد أن جاوز بني مرين البحر لنجدة إخوانهم من المسلمين بجزيرة الأندلس، ولما ثبتت نجاة هذا السيف في الحروب صنعت على منواله سيوف بني نصر بالأندلس، ليصبح فيما بعد النموذجاً تحتذى به سيوف الأندلس قاطبة.

فقد كان هذا الجواز نحو بر شبه الجزيرة الايبيرية نقلة نوعية في تطور الأسلحة البيضاء ونظام الفروسية بالأندلس، ومن ثم ظهور نظام الخيالة الخفيفة في العسكرية الحديثة بكل دول أوروبا، ذلك أن جند الأندلس من مسلمي غرناطة كان مُصنّف إلى صنفين: أندلسي وبربري، والأندلسي منها يقودهم رئيس من القرابة أو حصيّ من شيوخ الممالك. وزيمهم في القديم شبه زي أقتالهم، وأصدادهم من جيرانهم الفرنج، إسباع الدروع، وتعليق الترس، وحفاء البيضاء، واتخاذ غراض الأسنة، وبشاعة قرايبس السروج، واستركاب حملة الرايات خلفه، كلّ منهم بصفة تختص بسلاحه، وشهرة يعرف بها.¹⁷

وبعد انتقال الخيالة الزناتية إلى بر الأندلس رفقة السلطان يعقوب بن عبد الحق المريني عدل جند الأندلس عن هذا الزي الذي ذكرنا، إلى الجيوش المختصرة، والبيضات المزهفات، والسروج العربية، واليلب اللطيفة، والأسل العظيمة.¹⁸ ونجم عن هذا الأمر ظهور نماذج جديدة من السيوف صيغت بمصانع غرناطة للأسلحة، النموذج الأول أطلق عليه اسم السيوف الزناتية (Jineta)، وهو أنموذج سيف أبي عبد الله الغرناطي، والنموذج الثاني هو سيف النمشة المهدي للقبائل الزناتية احتفاء بذكرى وفودهم إلى بر الأندلس ووقوفهم إلى جانب سلطان بني الأحمر.

وقد اتخذ النموذج الأول أشكالا مختلفة جعلها محاكاة لسيف القبائل الزناتية المتنقلة إلى البر الأندلسي، ثم سرعان ما تفننوا في تخريجها مع المحافظة الدائمة على الطول والشكل والوزن لفعاليتها في الحروب التي كانت قائمة بين بني نصر من المسلمين، وأقتالهم من مسيحيي الجزيرة الايبيرية بداية من القرن 7هـ/13م. واستمر تصنيع هذا النموذج من السيوف بمعامل غرناطة الإسلامية حتى سنة 1402م، ثم سرعان ما قلدت هذه النماذج واستنسخت بمعامل طليطلة المسيحية لصالح بني نصر أول الأمر، وبعد معركة سيرا ألفيرا (Sierra Elvira) سنة 1431م، تقرر نسخ نماذج جديدة عن السيوف الزناتية لصالح مسيحيي الأندلس، وشرع في ذلك بداية من سنة 1478م، لتنظم في نهاية القرن صناعة السيوف الزناتية بطليطلة¹⁹، ويعم استعمالها جل شبه الجزيرة الايبيرية ابتداء من القرن 9هـ/15م.

وخلال هذين القرنين من الزمان (7-9هـ/13-15م) أصبحت السيوف الجناتية أو الزناتية (Jineta) تمثل السلاح الإسلامي الرائد بامتياز في شبه الجزيرة الايبيرية، والذي صنع خصيصا بمعامل غرناطة ليستعمل في الحروب الجارية رحاها بين بني نصر ومسيحيي الأندلس.

والحقيقة أن المسلمين والعرب أدخلوا تقنيات صناعة الأسلحة وسقي المعدن إلى شبه الجزيرة الايبيرية منذ القرن 2هـ/8م، وقد عثر على آثار هذا الأسلوب التقليدي في صناعة السيوف العربية بمدينتي بلبليس (BILBILIS)، وطليطلة الإسلامية.²⁰ ومن المعروف أن أبو المطرف عبد الرحمن ابن الحكم -عبد الرحمن الأوسط -، والمسمى عبد الرحمن الثاني في الأوساط الأوروبية (206-238هـ/822-852م) هو من أعاد تأهيل مصانع الأسلحة بطليطلة بلد منشأه ومسقط رأسه، وأخضعها لنظام الحرف والنقابات الحرفية على طريقة أهل الحسبة.

والظاهر أن النموذج الثاني - سيف النمشة - ارتبط بقبائل زناتة في حطها وترحالها، وبالتالي تنقل معها إلى البر المغربي في حلتها الجديدة ليصنع بمعامل فاس، ذلك أن صنّاع السلاح بمدينة فاس كانوا يعدون حاجات جيش السلطان والقبائل التابعة له، وما كان على هذه القبائل إلا أن تبعن بالفرق المطلوبة منها حالما تدعى إلى ذلك، وكانت تأخذ معها

دوابها وتحمل عدتها من سيوف، ورماح، وفؤوس للقتال، وأقواس، ودروع، وتروس، وكان هؤلاء يصنعون القرطحات والمهامز البسيطة أو الدمشقية²¹. وقد اكتسب صناع بني مرين بفاس خبرتهم من رصيد الخبرة الكبير الذي كان في عصر الموحدين، والذي تضخم وتضاعف بسبب تراكم الخبرات الصناعية الوافدة إلى المغرب الأقصى من بلاد الأندلس في ذلك العصر²².

وجاء اهتمام سلاطين بني مرين الكبير بالصناعات الحربية لحاجتهم إلى الجيوش القوية التي يدافعون بها عن حدودهم ضد الأخطار التي تهددهم دائماً من الشرق، ولكي يقوموا بالجهاد المقدس دفاعاً عن الإسلام في بلاد الأندلس. كما أن الروايات تدل على أن المرينيين كانوا يملكون ترسانة قوية لصناعة الأسلحة اللازمة لجيوشهم، حيث استخدم الجيش المريني أحدث أسلحة العصر في معاركه. «... وسمت همة أمرائه أن يميز مكانهم بالأمثلة والأسلحة المصوغة من الذهب والفضة والمموهة بهما، والمكحلة بالأحجار النفيسة الرفيعة، أبهة للإسلام ونكاية لعبدة الأصنام، فاستدعوا الصياغ من سائر الآفاق والأصقاع، واجتمع منهم جملة وافرة، فأبدعوا الصنائع العجيبة الفاخرة»²³.

يضاف إلى كل ذلك تلك الأسلحة التقليدية من السيوف المهنددة، والرماح العطفية، والدرق اللطمية، والمجانيق، والعرادات، والآلات المختلفة التي تستخدم في عمليات الحصار، والتي كان يعدها صناع السلاح الذين هم موكلون بإعداد حاجات جيش السلطان، وحاجات القبائل المقاتلة المستقرة حول مدينة فاس، ولعل هذا الأمر كان يستهلك الجزء الرئيس من مجدهم²⁴.

ثانياً: الإطار الثقافي والاجتماعي للسيف

يعد السيف من أهم وأشهر الأسلحة الفردية التي استخدمت خلال عصور طويلة حتى ظهور البارود ثم البندقية، وقد بلغ أوج قوته على جميع السلاح منذ القرن العاشر الميلادي وحتى قبيل القرن العشرين، أي بين قيام الإمبراطوريات القديمة وفتوح التقنية الحديثة²⁵، وإن لم يعد السيف اليوم سلاحاً للقتال، لكنه مازال رمزاً لكثير من المعاني منها: أن رفعه إلى الهامة يعد من أرفع ضروب الاحترام وكسره يعني الضعة وتسليمه معناه الخضوع والاستسلام، وقد كانت العرب تعتقد أن السيف إذا سُل من غمده دون أن يضرب به أورث الجبن²⁶، كما أن السيف يغني عن غيره ولا يغني عنه غيره، ويعمل عمل السلاح كله فكانوا يطعنون به كالرمح، ويضربون به كالعمود، ويقطعون به كالسكين، ويجعلونه سوطاً ومقرعة، ويتخذونه جالاً ووجاهة في الملأ، وأينسا في الوحدة ورفيقاً للسائر²⁷.

ومن السنة النبوية صعود الإمام على المنبر آخذاً بيده اليمنى السيف أو العصا أو غيرها، وقد نهى الرسول ﷺ عن تعاطي السيف المسلول في المسجد وفي خارجه²⁸. كما شُبه العلم بالسيف فطلبه لا يجب أن يجعل آلة إلى طلب الدنيا، ووسيلة إلى الشر لأن صلاح العلم للخير كصلاح السيف للغزو، ولذلك لا يرخص لصاحب السلاح في البيع من يعلم بقرائن أحواله أنه يريد به الاستعانة على قطع الطريق²⁹، كما كره السلف بيع السيف في وقت الفتنة خيفة أن يشتريه ظالم³⁰.

أما بلدان المغرب عامة فقد كانت للأسلحة البيضاء أهمية بالغة سواء من الناحية العسكرية أو من الناحية الاجتماعية

والدينية، فالشرع يبيح من الفضة قبعة السيف، وحلية المنطقة لأن الصحابة رضي الله عنهم اتخذوا المناطق محلاة بالفضة، والشيء المؤكد أن هذا السلاح كان يعد رمزا للقبيلة والوجاهة، وحلية للرجال³¹.

كما أن السيف عبارة عن كتاب مسطور يعبر عن ثقافة المجتمع بما وُشي عليه من كتابات أثرية مختلفة نفذت على صفيحة نصله أو كَلِّه أو بمحاذات توقيع الصانع، فغالبا ما كانت هذه الكتابات تكشف لنا الروابط والعلاقات السائدة بين أفراد المجتمع وطبقاته المختلفة، وغالبا ما كانت هذه الشعارات، والكتابات ذات دلالات فنية ورمزية مستوحاة من آيات القرآن الكريم أو السنة النبوية أو التراث الشعبي، والتقاليد والأعراف السائدة بين أفراد المجتمع. وحتى الدول المستقبلية اليوم للوفود الرسمية غالبا ما تستقبلهم رافعة سيوفها الوطنية إلى الهامة كأسلوب للتعبير عن مدى احترامها لهذه الشخصيات القادمة لزيارة بلدانها. وذلك برصف صفيين من الحرس الحاملين للسيوف على جانبي البساط أو الممر الذي خصص لاستقبال هذه الوفود، وهو أسمى معاني الاحترام.

أما عند مجتمعات بني نصر بغرناطة والمغرب الإسلامي، والمجتمعات الإسلامية قاطبة فقد كان تقلد السيف من أهم المظاهر الاجتماعية كونه حلية رجالية، ووجاهة في المجتمع لذا تحلى به، وحمله الأمراء، والقادة العسكريون، والشيوخ، والقضاة، والوجهاء، وحتى العامة من الناس فكان السيف يعكس وجه صاحبه بما يحمله من زخرفة توشح نصل وقائم سيفه، وحمله خلال العصر الحديث إضافة إلى الأمراء والسلاطين، السفراء وأصحاب الممثليات القنصلية خارج بلدانهم، فكان القنصل أو السفير غالبا ما يتحلى بسيف بلده الوطني تعبيرا منه عن اعتزازه بآلائه لوطنه، وبذلك أصبح السيف بدوره سفيرا لثقافة البلد المصنع به.



طريقة تقلد السيف في مجتمع بني نصر
من 1 إلى 4 قادة عسكريين - 5 أمير - 7 و 8 شيوخ.

وعن تقلد السيف لدى المغاربة جاء عند القلقشندي أنهم ينقلدون السيوف تقلداً بدوياً ذلك أنهم يحملونه في أعناقهم³²، والحقيقة أن السنة في حمله صلى الله عليه وسلم السيف كانت تقلده به في عنقه الكريم كما قال ابن الجوزي لا شدّه في وسطه كما هو العرف الآن، ونقله الزرقاني في شرح المواهب، ولقد فزع أهل المدينة ذات ليلة فانطلق ناس قتل الصوت فتلقاهم رسول الله ﷺ راجعاً، قد سبقهم إلى الصوت واستبرأ الخبر على فرس لأبي طلحة عُرِّي أي من غير سرج، والسيف في عنقه وهو يقول: لن تراعوا. وهو في الصحيحين



الأسلوب المغاربي في تقلد السيف

قال الزرقاني على قوله: والسيف في عنقه أي حائله معلقة في عنقه الشريف متقلداً به، وقال الخفاجي في شرح الشفا قوله والسيف في عنقه، أي حائله معلقة في عنقه الشريف متقلداً به عليه السلام، وعلم أن هذا هو السنة في حمل السيف، كما قال ابن الجوزي، لا شدّه كما هو المعروف الآن اهـ³³.

وقال الزرقاني في غزوة أحد: وتقلد سيفه، أي جعل علاقته على كتفه الأيمن، وهو تحت إبطه الأيسر، وعند ابن سعد: أظهر الدرع وحزم وسطها بمنطقة من آدم من حائل سيفه، وتقلد السيف وألقى الترس في ظهره اهـ. وكان يحلي السيف وآلة الحرب بالذهب والفضة، وكان له خمس أرماع وعدة حراب وغزاة ودروع 7 وبيضة³⁴. وعليه فحمل المغاربة للسيف في العنق ليس تقليداً بدوياً بقدر ما هو اقتداء برسول الله ﷺ وسنته الشريفة، وهو أمر يحرص عليه المغاربة قاطبة ويرعون فيه.

ومنذ العصور الوسطى وحتى مطلع العصر الحديث أصبح السيف مرآة عاكسة للطبقات الاجتماعية، فكلما كان الشخص الذي صنع لأجله هذا السلاح ثريا، ووجيها كلما ظهر ذلك في سيفه وفي المواد التي وظفت في زخرفته، حيث تزداد وتنوع زخارف السيف كلما كان السيف موجهًا لشخص مرموق في المجتمع، فتوظف في زخرفته المواد الثمينة تعبيرًا عن المركز الاجتماعي للشخص الذي سيصنع السيف لأجله أو الذي سيهدى له، وهذا ما جعل صناعة السيوف تتمركز في كبريات المدن دون غيرها.

ومن الناحية الاجتماعية كان من الواجب أخذ سلاح الشبان عند إقبالهم عند العرس، قبل أن يشربوا، وإذا ظفر بالمعربد، كُتِفَ وأهبط إلى صاحب المدينة، يؤدبه ويسجنه، كما أنه إذا ظفر بأهل البادية وغيرها، ممن له شعر طويل بالمدينة، وجب أن يقص عليه، وأن يحلق ويؤدب على ذلك، فإن ذلك من علامات أهل الشر والدعة، كما أنه يجب أن يُبتاع السلاح من العزاب من أهل البادية؛ ومن ظفر بهم منهم، ويبيده رمح طويل أخذ منه؛ فإنها ترفع نفوسهم مع الشعر الطويل.³⁵

ثالثا: انتشار سيف النمشة حتى العصر الحديث

عاد سيف النمشة في حلة جديدة إلى المغرب الإسلامي مع القبائل الزناتية وانتشر في كل المناطق التي سكنتها هذه القبائل، وترتب على ذلك ظهور سيوف نمشة مصنعة بمعامل فاس، وأخرى قامت بتصنيعها القبائل الزناتية الولهاصية المنتشرة بالأراضي الجزائرية، وقد كانت صناعة فاس تصل آثارها إلى مناطق بعيدة المدى، وإن ليس ثمة ما يدل على أن مصنوعاتا عرفت أسواق أوروبا، لكنها كانت تجد المشترين لها في عديد من بلدان شمال إفريقيا وشرقها وأواسطها.³⁶



سيف نمشة جزائري القرنين 17-18

متحف الميتروبوليتان للفنون - نيويورك

وخلال القرن 7هـ/13م أصبحت تلمسان من أكبر أسواق السلاح الوارد من أوروبا عن طريق ممالك إسبانية

النصرانية، وبخاصة كطلونية، ثم الجمهوريات الإيطالية وموانئ فرنسا الجنوبية، وكان تجارها يبادلونه بالعاج والأبنوس وتبر إفريقية بصورة خاصة³⁷، وهذا ما جعل من تلمسان منافسا شديدا لتجارة فاس أول الأمر ذلك أن الموانئ التي كانت تفيد منها ممثلة في هنين، ورشقون، ووهران كانت أيسر متناولا من الموانئ التي كانت تفيد منها فاس، وبخاصة السفن الإيطالية التي كانت تعد أنشط السفن تجارة في غرب البحر الأبيض المتوسط في ذلك الوقت.

وبعد أن دخلت تلمسان في حوزة بني مرين ساعد هذا الأمر على انتشار أنموذج سيف النمشة بجل مناطق الشمال الإفريقي، وحتى مصر وأقطار البلاد العربية عن طريق المراكز التجارية القديمة، وعلى رأسها منطقة خراسان التي كانت تربط فارس بالبلاد العربية، وتم عبرها كل المبالات التجارية المتعلقة بالأسلحة وبخاصة السيوف.

وإن كانت المصادر والمراجع العربية والغربية التي تتحدث عن هذا الأمر قليلة فإن الكندي الذي عاش خلال القرن 9م/9هـ يمدنا بمعلومات قيمة في رسالته عن السيوف وأجناسها، والتي تمكننا من تقدير حجم المبادلات التجارية الرائجة للمواد الأولية الخاصة بصناعة السيوف، والمواد نصف المصنعة، والسيوف المكتملة الصنع بين سرنديب بالهند، ومنطقة خراسان وشبه الجزيرة العربية، وبحر الزنج عبر زنجبار على الساحل الشرقي لأفريقيا مروراً بمنطقة عمان، والخليج العربي. ومن ثم تستمر هذه المبادلات التجارية مع الجهة الغربية لأفريقيا براً أو بحراً، وتقصد بالدرجة الأولى الشمال الأفريقي فأوروبا، ويبدو أن هذا الأمر استمر على حالته هذه حتى مطلع العصر الحديث.

وفي هذا الصدد يذكر عبد الرحمن زكي محقق الرسالة ما يلي: «والرسالة التي ننشرها للكندي ذكر فيها صاحبها ما يزيد عن خمسة وعشرون ضرباً من ضروب السيوف وفقاً لمصدر إنتاجها من اليمن إلى سرنديب حتى سيوف الفرنج، ووصف خصائص شفراتها كل على حدى، وعرض لبعض الفوائد في ما يتعلق بإعادة طبع السيوف المفلولة بواسطة التبريد التدريجي... وقد أمدت رسالة الكندي علماء الآثار في الغرب بالمعلومات الفنية الغزيرة في السيف عند العرب الذي ظل مجهولاً حتى القرن التاسع عشر»³⁸.

ومع مطلع العصر الحديث استمر هذا السيف بالظهور كأبرز سيوف عصره، والظاهر أن أبو العباس أحمد المنصور السعدي الملقب بالذهبي اتخذ شعاراً من شعارات دولته بعد توليه الحكم، فبعد وفاة محمد الشيخ المهدي سنة 1557م، وتولى ابنه عبد الله الغالب عرش المغرب لم يجد الأمير أحمد، وأخوه عبد الملك بدا من الفرار إلى الجزائر والقسطنطينية. وهناك ظلاً في المنفى إلى حين وفاة أخيهما عبد الله الغالب، وتولى ابنه محمد المتوكل السلطة، وقد دامت إقامة أحمد وأخيه الأكبر عبد الملك في ضيافة "الباب العالي" قرابة العشرين عاماً، ولم يعودا إلى المغرب إلا سنة 1576م، ليزيحا المتوكل عن العرش بعد وقعة وادي المخازن بدعم من الدولة العثمانية³⁹.

ثم اعتلى أحمد المنصور عرش الدولة السعدية من سنة 1578م إلى 1603م، وعرف عنه تحديثه للجيش المغربي بإدخال مستحدثات العصر العثماني في جيشه بسبب احتكاكه بجيوش عصره، فقد كانت السيرة على عهد أبي عبد الله المهدي، وولده الغالب بالله، وابنه المتوكل سيرة العرب في الجيش والمأكل، والملبس، وغير ذلك.



سفير المنصور الذهبي ببريطانيا العظمى
عبد الواحد بن مسعود 1600

فارس عبد العزيز الفشتالي: "لما كانت وقعة وادي المخازن ونصر الله دينه وكبت الكفر وأهله واستوسق الأمر للمنصور كتب إلى صاحب القسطنطينية العظمى، وهو يومئذ السلطان مراد الثالث بن سليم العثماني، وإلى سائر ممالك الإسلام المجاورين للمغرب يعرفهم بما أنعم الله به عليه من إظهار الدين وهلاك عبدة الصليب، واستئصال شأفتهم فوردت عليه الأرسال من سائر الأقطار مهنتين له بما فتح الله على يده. وكان أول من وفد عليه رسول صاحب الجزائر حسن البندقي (1577 - 1580م) ثم تلتها أرسال طاغية البرتغال، وهو انريكي القائم بأمرهم بعد هلاك ولد أخيه سبستيان، وأرسال خاله طاغية قشتالة - (ملك إسبانيا) - فيليب الثاني (1555 - 1598م) الذي جمع المملكتين معا بعد هلاك انريكي المذكور.

وبعد وقعة وادي المخازن بثلاث سنين قدموا بهدية عظيمة وضعوها يوم دخولهم إلى فاس على العجلات والقراريط - (الكراريس) - فعجب الناس منها عجا بليغا. . . ثم قدمت أرسال السلطان مراد العثماني، ومعهم هدية وهي سيف محلي بديع الصنعة فاخر الحلي والزينة لم ير مثله مضاء ولا أصفى متنا. ⁴⁰، وكان ممن وصل عامئذ أرسال طاغية الافرنجة ويقال افرنصة وبه يعرفون اليوم فقضوا فرض التهنة، واقتنوا سنن غيرهم من أرسال ملوك الأرض. ⁴¹.

لقد كان سيف النمشة الموروث منذ العهد المريني سيد معركة وادي المخازن رغم ظهور البواريد، وهي النماذج الأولى للبنادق العاملة بالبارود ضمن العسكر المنصوري، والتي كانت تسمى فرقتها جيش النار بحسب الفشتالي، إلا أن بواريد ذلك العصر كانت طلقاتها لا تتعدى الطلقة الواحد لذا فإن الفصل في المعركة غالبا ما يعود فيه الفصل للسيف، وبهذا الصدد يقول الافراحي: «وحكمت السيوف في رقابهم، وفروا ولات حين فرار»⁴². وبعد أن استتب الأمر للدولة السعدية أصبح هذا السيف رمزا للسيادة الوطنية مما أكسبه الصفة الرسمية فتحلى به وحمله قناصلها بالممثلات الغربية اعترافا به وبتاريخه.

وعقب هذه الوقعة ذاع صيت هذا النوع من السيوف شرق العالم الإسلامي، وبالساحل العماي شرق القارة الأفريقية، ووصل زنجبار التي كانت ولفترة ليست بالقصيرة تخضع لسلطنة عمان سواء في عهد السلاطين اليعاربة أو سلاطين آل بوسعيد، حيث امتدت السيادة العمانية من رأس دلجادو جنوبا حتى مقديشو شمالا، وبعض المدن في وسط أفريقيا، وقد ظلت سيطرتها على زنجبار وساحل شرق أفريقيا حوالي الألف عام، ولم تنقطع هذه السيطرة عن تلك المناطق إلا لفترات قصيرة بسبب رحلات الاستكشاف البرتغالية.

ومنذ عام 1503م كانت الإمبراطورية البرتغالية أول قوة أوروبية تمكنت من فرض سيطرتها على زنجبار واستعمارها، حيث بقيت تحت نفوذها حوالي 200 عام، فطورت نظام التجارة والاقتصاد والمحاصيل الزراعية. واعتمد البرتغاليون على قاعدتهم شديدة التحصين في مدينة مسقط ومارسوا من خلالها فرض نظامهم بإصدار تصاريح «سلامة المرور» للسفن التجارية العابرة مقابل الحصول على مبالغ كبيرة من المال⁴³.

وكان الإمام سلطان بن سيف بن مالك اليعربي (1649 - 1668م) قد أرسل السفن العمانية أمام سواحل أفريقيا الشرقية أعوام 1650م، 1652م، 1655م وذلك لمهاجمة الحاميات البرتغالية في زنجبار، وبما (الجزيرة الخضراء) (1661 - 1662م) فدمرتها وقتلت عددا من البرتغاليين. وعند حصارهم لمدينة مسقط كانوا يقتلون من يرونه حذاء الراوية في الأرض، ويقتلون من يرونه سائحا في المكان الذي يسمى حلة العجم، والبحارنة، ونحوهم، ويرفعون أصواتهم إلى من بالسور من البرتكيس (البرتغاليين)، ناجزونا، بارزونا، فإن الشجاع مع الحرب لا يتحصن بالقلاع والنيران، ويعيرونهم طويلا، فلم يخرج إليهم منهم أحد لعلمهم أنهم ليسوا كفئا لهم على المبارزة لا بالسيف ولا بالرمح، ولا يمنعهم من الدخول عليهم غير التوفيق - (البارودة التركية) - والمدفع⁴⁴.

فلما اقتحموا الحصن، وضع المسلمون فيهم السيف وطعن الرماح فتركهم صرعى، كأعجاز نخل منقعر، ثم انقسموا قسمين، قسم إلى الحصن الغربي، وقسم إلى الحصن الشرقي، فأقلوا عليها السلام، فلما شرع من فيها إلى ضرب المدافع خانهم البارود، فما شعروا إلا والسيوف تنقد جباههم وحناجرهم والرماح والخناجر في صدورهم.

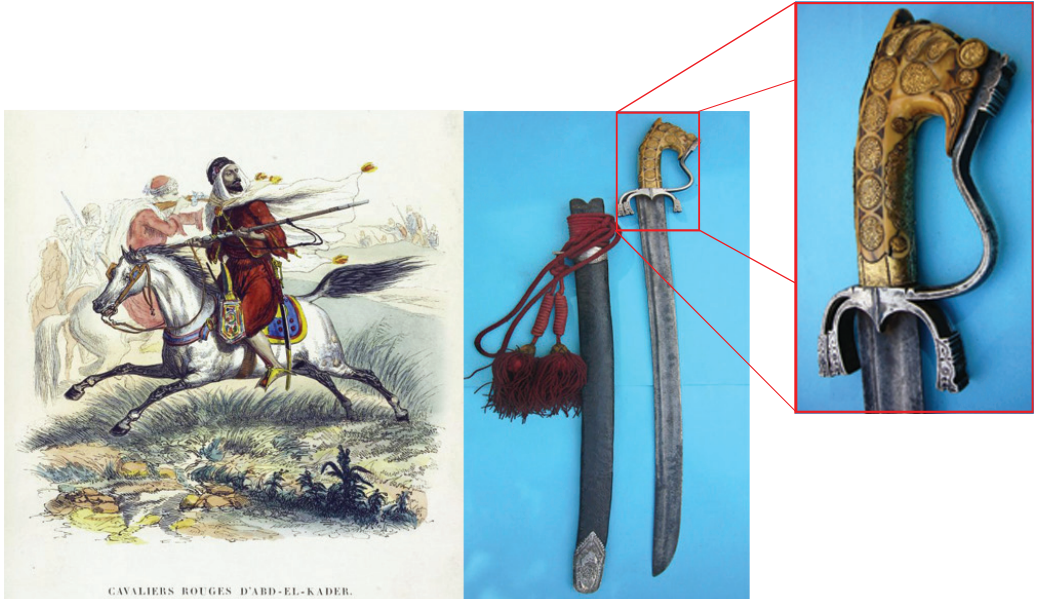
فملك الإمام وقومه السور والحصنين والصيرتين وسائر المقابض إلا البرج المسمى باسم أميره كبريتيه. . . فأشروعوا فيه وفي أصحابه الشَّرْعَ الرماح، والبيض الصفاح، فقتلوه ومن معه جميعا، وأراح الله المسلمين منه ومن أصحابه المشركين. ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد بل إن دولة اليعاربة نجحت في عهد الإمام سلطان بن سيف في وضع حد للنفوذ البرتغالي،

وملاحقتهم في المواقع الأخرى من المحيط الهندي وشرق أفريقيا، حيث نجح الأسطول العثماني عام 1696م في تدمير الحاميات البرتغالية الموجودة في مبابا.

كما تواصلت الضغوط مدة 28 سنة حوصرت فيها مومباسا⁴⁵ ما يقارب 33 شهرا ليتم الاستلاء على قلعة المسيح سنة 1697م، وهزيمة البرتغاليين وطردهم من المدن والجزر على الساحل الشرقي لإفريقيا، وتعيين ناصر بن عبد الله حاكما على مومباسا. وبعد وفاة السلطان سعيد تنازع ولديه ثويني بن سعيد، وماجد بن سعيد على وراثة الحكم فانقسمت عمان وزنجبار إلى سلطنتين حكم فيها ثويني سلطنة عمان، وصار ماجد سلطان زنجبار منذ 1856م، وعمل على تقوية سلطته من خلال تجارة الرقيق بشرق أفريقيا إلى غاية 1870م، ولما خلفه برغش بن سعيد عمل على إلغاء تجارة الرق في زنجبار والجزيرة، وطور البنية التحتية للبلاد، واستمر الأمر كذلك ببر الزنج حتى سنة 1886م.

وقد خلد هذا الانتصار على البرتكيس بصنع انموذج مشابه للسيف الذي هزم البرتغال في وقعة وادي المخازن، ومن قبل على أرض الأندلس حتى أصبحت تعرف زنجبار بأندلس إفريقيا، وعُرف السيف المخلد للذكرى تحت اسم نمشة زنجبار علما أن السيوف العمانية كانت على شاكلة السيوف العربية.

لقد كان هذا السيف نصير المظلومين من المسلمين في جميع الأقطار التي طالتها يد الاستعمار الحديث، فبعد أن وقع الوطن الجزائري فريسة لأطماع الدولة الفرنسية، كان سيف النمشة من بين الأسلحة البيضاء الأكثر استعمالا في جيش الأمير عبد القادر، أثناء مقاومته للاستعمار الفرنسي.



نموذج من سيوف نمشة زنجبار المعمولة احتفالاً بالانتصار على البرتغاليين وطردهم من مدن وجزر الساحل الشرقي الإفريقي

وحتى يحصل الأمير عبد القادر على هذا النوع من السيوف أوكل الحاج الطاهر شقيق قائد معسكر الحاج البخاري، وكلفه بأعماله التجارية وبخاصة شراء الأسلحة، كما عين الحاج الطالب بن جلول الفاسي ابن رئيس وزراء المغرب قائماً بأعماله كممثل دبلوماسي له، ووكيلاً تجارياً في مدينة فاس، حيث قام هذا الأخير بدور هام على الصعيد التجاري، والدبلوماسي منذ نهاية حكم مولاي سليمان وبداية حكم مولاي عبد الرحمن.

وفي سنة 1833م توجت أعمال الأمير بحصوله على هدية من السلطان مولاي عبد الرحمن تمثلت في مئة بندقية، ومثل هذا العدد من السيوف، وحصل بتاريخ 06 ماي 1838م على 600 سيف من فاس⁴⁶، واستمر تدفق الأسلحة وبخاصة سيوف النمشة على جيش الأمير عبد القادر، وبخصوص هذا يقول مارسال إميريت: «جعلت القوافل الآتية من فاس بالمغرب مدينة تلمسان مستودعا تحمل إليه السيوف، والخناجر، وأخشاب البنادق»⁴⁷.

لقد سافر هذا السيف بعيدا وصال وجال في مختلف الأقطار الإسلامية متخذا من المدن التي وصلها اسماً مضافاً له، ورغم أنه عمر طويلاً لم يغير هويته، واستمر استعماله حتى نهاية القرن 19م ثم دخل خزانات المتاحف مجهول الهوية.

رابعا: صناعة سيوف النمشة

تعتمد صناعة السيف عامة على تصنيع أجزائه منفردة ثم تجمع وتركب بأساليب مختلفة لتصبح متكاملة متجانسة مشكلة بذلك جسم واحد هو السيف، وعليه تختلف صناعة السيوف من سيف لآخر بحسب الأجزاء المكونة له ممثلة في المقبض، والنصل، وقد تثبت له واقية لحماية اليد، وتنتهي صناعته بعد إقرابه، أي جعله في غمد للحفاظ عليه.

وكانت سيوف النمشة تصنع بكبريات المدن المغربية حيث كانت فاس أول المدن المصنعة له ثم تلتها مدن مراكش ومكناس وتطوان وتارودنت⁴⁸، وتنتمي هذه السيوف من حيث الطراز إلى السيوف ذات المقابض المجهزة بواقية لحماية اليد أثناء المبارزة، وقد تعددت نصالها وتنوعت نظرا لتعميرها الطويل حيث تعود نصالها الأولى في جذورها البعيدة إلى القرن 13م، واستمرت فعاليتها في ميادين القتال حتى نهاية القرن 19م.

(1) - أنواع النصال الموظفة في سيوف النمشة

كانت سيوف النمشة عند بداية تصنيعها مستقيمة النصال، ثم تنوعت نصالها وتعددت، كما أن بعض النصال المستقيمة كانت تعرف تحت اسم الفليسة الجزائري أو فليسة النمشة، إلا أن أقدم النماذج التي لدينا لا يتجاوز عمرها القرن 16م وبداية القرن 17م، ومع نهاية القرن 18م وبداية القرن 19م ظهرت نماذج جديدة من هذه السيوف⁴⁹.

وبقي الأمر كذلك غير مستقر على نوع بعينه من النصال حتى النصف الأول من القرن 19م حيث استقرت نصال هذه السيوف على نمط قليل التقوس، وصفه الرحالة الألماني "فرديناند هوفر" الذي زار مدن المغرب الأقصى في هذه الفترة فقال: «السيف ليس مقوساً مثلما هو الحال عند المشارقة، ويكاد النصل يكون مستقيماً، أغمد في قراب من الجلد معلق بجذيلة من الحرير حول الكتف، وهم مدربون على استعمال هذا السيف لاتقاء ضربات المنافس»⁵⁰. وتعد المقابض والنصال العنصر الرئيس في تصنيف السيوف، وعليه يمكننا تقسيم سيوف النمشة إلى ثلاثة أمطاط مختلفة بحسب نصالها:

- النمط الأول:

وهي السيوف التي صنعت نصالها محليا من حديد رديء أزيلت سقايته، ووقع بالميقعة أي المطرقة ليتكيف مع الأسلحة المحلية، وهذه النصال قليلة التقوس تكاد تكون مستقيمة، تصل أطوال نصالها حوالي 80 سم، وعرضها 03 سم، أما سمكها عند عقب النصل فحوالي 0,7 سم، وعادة ما تكون أحادية الحد خصصت للضربات الأفقية، ويمتد أحيانا ناحية الكل أي ظهر السيف مضاد لضربات السيف (Contre tranche) بطول عشرين سنتمرا، وهي ميزة تختص بها السيوف المستقيمة الغرض منها صد الصدمات التي تنشأ عن التقاء نصال السيوف أثناء المبارزة.

ولتشكيل رأس النصل يقطع طرفي الحد والكل لينتج شكلا مخروطيا أو برسم حد مزيف يوصل الرأس بمحور النصل، كما تحفر على جانبيه قناتان أو ثلاثة قنوات متناظرة على وجهي النصل تدعى الشطب وتعرف محليا بالساقية، وغالبا ما نجد بمحاذات هذه الشطب تقليدا لتوقيعات المصانع الأوروبية، وإن كانت هذه النصال أثقل من نظيراتها الأوروبية، وحدها أقل انحدارا وزاويتها أكثر انفرجا كما يحبها المغاربة، وهذا ما يجعلها تختلف تماما عن النصال الأوروبية⁵¹.

- النمط الثاني:

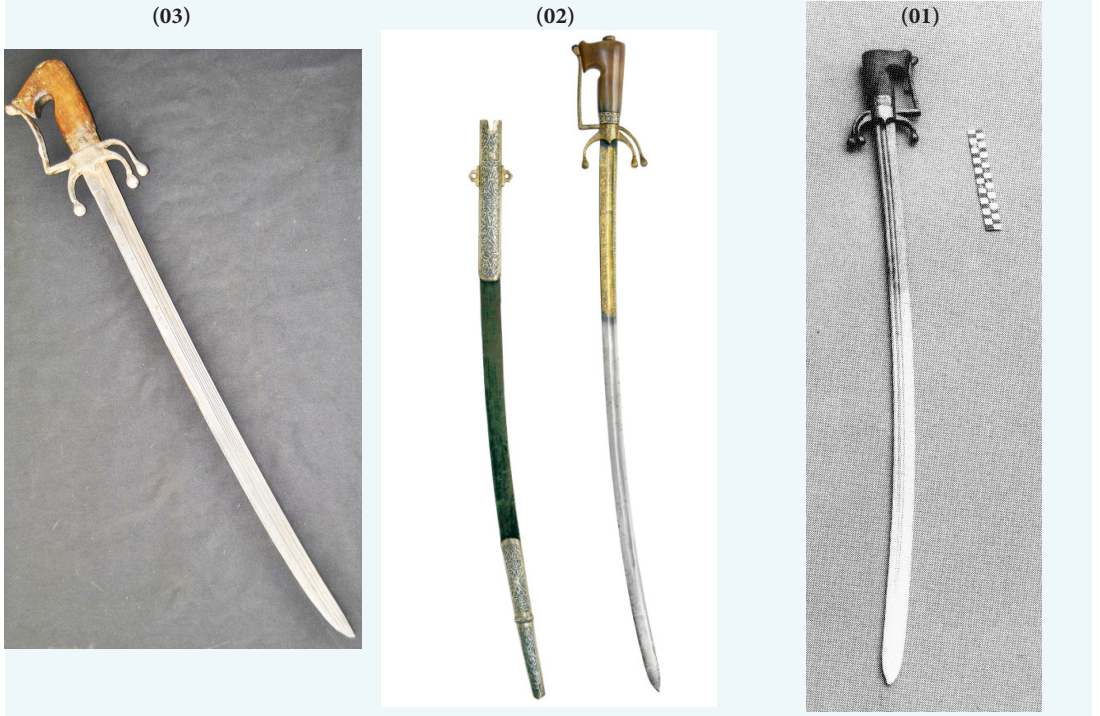
ويتركب من نصال عربية قليلة التقوس، مرنة ومقاومتها ممتازة يمكنها تحمل الضربات العنيفة دون أن تتنلم. تحمل خاتما دائريا، مصدرها بغداد أو دمشق، وتصل أطوال نصالها من العقب حتى رأس النصل حوالي 80 سم خصصت لتنفيذ الضربات الأفقية، ووضبت نصالها بطريقة السيوف الدمشقية أي الجوهر الدمشقي (الحنون أو الحناوي).

وكانت هذه التقنية خاصة بصناعة نصال السيوف الكريمة بغرض زيادة محتواها الكربوني، حيث يتم تطريق سبائك الفولاذ الهندي مباشرة إلى نصال عن طريق عمليات تسخين ومُطْل متكررة كثيرا، علما بأن هذا الفولاذ يحتوي على نحو 1.5% من الكربون وزنا، إضافة إلى نسبة منخفضة من الشوائب الأخرى كالسليكون، والمنغنيز، والفوسفور، والكبريت. ثم تركها ليتبرد سطحها ببطء شديد فيكسبها الصلابة والمرونة، إضافة إلى لمعان سطوحها وظهور وَشْيها وفرندها، كما تتوسط النصل شطبا وعروقا وهو ما يزيده مرونة وصلادة، والظاهر أن هذا النمط من النصال كان الأصل في السيوف المهنددة، والتي لم يعد المغرب يستورد منها الكثير لندرتها، وبخاصة بعد أن غزى أسواق الشرق الفولاذ الأوربي الرخيص الثمن رغم قلة جودته مقارنة بالفولاذ الدمشقي، وعموما يُجمع الخبراء على أن آخر ما صُنع من سيوف دمشقية عالية الجودة كان قبل التسعينات من القرن التاسع عشر.

- النمط الثالث:

وهي السيوف الأكثر شيوعا تتميز بنصالها الأوروبية قليلة التقوس، وهي على نوعين:

- نصال أوروبية مسترجعة من سيوف عاطلة يعاد توظيفها في سيوف النمشة بعد توضيها، ثم يركب لها مقبض وواقية.
- نصال مستوردة نصف مصنعة عملت خصيصة للمغرب بالورشات الأوروبية، يتم توضيها محليا بالورشات الحرفية المغربية، ثم يركب لها مقبض وواقية.



النمط الأول (01) (Contre tranche): رأسه مخروطية ويمتد على كله مضاد ضربات السيف.

النمط الثاني (02): نصال عربية قليلة التقوس.

النمط الثالث (03): نصال أوروبية قليلة التقوس.

1 - المصانع والورشات وعلامات الوسم

كانت نصال السيوف الأوروبية المسترجعة غالبا ما يتم الحصول عليها من نصال سيوف رثة أو سيوف جمعت أثناء المعارك، أما المستوردة منها فصنعت خصيصا للمغرب في المصانع والورشات الأوروبية⁵²، حيث تميزها علامات الوسم المنقوشة، والمطبوعة على نصالها، والتي تعود إلى معامل شهيرة كدار الصناعة بطليطلة (Toledo) الإسبانية التي أصبحت خلال القرن 18م مصنعا حكوميا، وسولينجين الألمانية (Solingen)، والمصانع والورشات الإنكليزية، والإيطالية والهولندية والفرنسية وغيرها من الورشات الكثيرة المنتشرة بأوروبا.

وتتراوح أطوال نصال السيوف المستوردة، بداية من عقب النصل ووصولاً إلى رأسه الحادة ما بين 65 - 70 سم، كما تعد النصال المسترجعة من سيوف الخيالة الأوروبية الأكثر تقوسا، وهي نصال أحادية الحد مطواعة في اليد خفيفة الوزن مقارنة بالنصال المحلية، واشتهر بهذه المصانع عدد من العمال والحرفيين عرفوا بجودة النصال التي ينتجونها، فكانت علامات الوسم التي يوقعونها أو يطبعونها على هذه النصال علامات مسجلة بأسمائهم، وكانت نصالهم مطلب جل الورشات الحرفية العاملة في تزيين الأسلحة البيضاء وبخاصة السيوف.

(أ) – جوليان ديل راي (Julian del Rey)

شرعت طليطلة في تصنيع السيوف الزناتية (Jineta) منذ سنة 1478م، واستمر الأمر كذلك حتى تنصيب شارل الثالث (CARLOS III)، ملكا على إسبانيا شهر أوت 1759م، والذي أمر بإعادة تنظيم المصانع لتصبح مؤسسة ملكية رسمية منذ سنة 1760م، وبعد ثلاثة سنوات من تنصيبه ملكا شرعت هذه المصانع في عملية الإنتاج الرسمي سنة 1761م، ومنذ ذلك العهد اكتسبت السيوف المنتجة بهذه المصانع سمعة عالية، وزادت شهرتها، واستمر الأمر على هذا النحو خلال فترة عصر النهضة وحتى نهاية القرن 17م.

ولم يدم الأمر طويلا حتى أمر الملك شارل III معماره الخاص سبتييني (Sabatini) – بإنشاء بناية جديدة لهذه المؤسسة بحيث يكون مقرها خارج أطراف المدينة بالقرب من نهر تاجا (Tage)، والذي أنهى من أشغال بنائها سنة 1783م.⁵³

ويعود الفضل في ذلك إلى صانع سيوف مغربي كان عاملا بمصانع غرناطة للأسلحة والسيوف تحت حكم أبي عبد الله آخر ملوك بني نصر، وهو ابن عراب الملك الإسباني فرديناند، حيث نقل هذا الأخير صناعة السيوف الغرناطية إلى مدينة طليطلة بعد أن غير دينه واسمه العربي، وتنصر ليتخذ بعد ذلك اسم جوليان ديل راي (Julian del Rey). وإلى جانب عمله بمصانع غرناطة سبق له وأن عمل بمصانع سرقسطة وطليطلة سنة 1478م، وسرعان ما انتشرت منتجاته من نصال السيوف التي لقيت إعجابا كبيرا بكل المقاطعات الإسبانية خلال القرنين 15 – 16م، واشتهرت نصال هذه السيوف برسم صورة محورة لكلب صغير (Perrillo) كعلامة مميزة لها، ويعود أصل هذه العلامة إلى السيوف الإسبانية المغربية (Jineta) التي كانت نصالها تعلم بعلامة الكلب الصغير.

ومنذ القرن 16م أصبحت هذه العلامة التي ظهرت على السيوف الإسبانية مصحوبة بصورة للشمس أو القمر منفذة على مستوى العرضان⁵⁴ (Ricazo). ثم سرعان ما ظهرت علامات الشمس، والقمر، والنجوم في منتجات بيترو ميونيخ الألمانية في الفترة الممتدة بين سنتي 1595م – 1660م، غير أن رموز هذه المنتجات الأخيرة كانت رموزا تعبر عن قدرات بحرية أكثر منها علامات للحداين.

وبعد نقل جوليان ديل راي لعلامة "الكلب الصغير" الغرناطية، وتوظيفها في نصال السيوف المنتجة بطليطلة، استنسخت هذه العلامة لاحقا من قبل جل الحداين العاملين في الورشات الحرفية المختلفة، ووسموا بها شفرات نصالهم الخاصة لإضفاء الهيبة والشرعية عليها، واتبعهم في هذه الطريقة الحداون الألمان، وبخاصة مدينتي باساو (Passau)، وسولنجين، حيث عوضت علامة الكلب بصورة مشابهة لذئب محور تدعى "الذئب الألماني"، ثم شاع استخدامها بين الحداين الذين اهتموا بحرفة تزييف الأسلحة فوسموا بدورهم نصال سيوفهم بهذه العلامة، وتعدى الأمر ذلك ليطبعوا نصالهم المنتجة بتواقيع وأسماء حداين مصانع طليطلة الأكثر شهرة خلال القرن 17م.

(ب) - أندريا فرارا (ANDREA FERARA)

ولد أندريا دي إفراري (Andrea de i ferari) في بيلونو (Belluno) بالبندقية سنة 1530م وتوفي بعد سنة 1583م، وقد شابت قصة حياته خليطا بين الواقع والأسطورة، ذلك أن جل الدول الأوروبية أرادت أن تنسب إليه أعمال، ومنتجات ورشاتها الحرفية، ولكن الأمر الأكيد أن النصال الأولى الحاملة لتوقيع أندريا فرارا كانت في معظمها من عمل هذا الفنان الأسطورة، الذي عرف بسمعه الكبيرة كساق جيد للنصال المنتجة بورشته في بيلونو بالبندقية منتصف القرن 16م. وكان أندريا فرارا يعمل بنفسه في ورشته رفقة شقيقه جيوفاني دوناتو (Giovani Donato) منذ سنة 1550م، واتسمت منتجاته عموما بالجودة، والمتانة، والسقي الجيد لنصال السيوف، وما زالت بعض المنتجات من نصاله الحاملة لتوقيع زاندونا (ZANDONA) معروضة بخزانات المتاحف، وتعد مملكة بوهيميا (Bohemia) بأوروبا الوسطى مصدر جُلّ النصال التي ظهرت خلال القرن 17م تقريبا، وبخاصة نصال السيوف المنسوبة لأندريا فرارا⁵⁵.



علامة الوسم زاندونا (ZANDONA)

متحف فلاديفيا للفنون

كما كانت إيطاليا مركزا كبيرا للورشات الحرفية المنتجة للأسلحة في هذه الفترة، وهو ما يجعل التفريق بين المنتجات الألمانية والمنتجات الإيطالية أمرا صعبا، فبعد وفات أندريا فرارا بقيت ورشات سولنجن (Solingen) بألمانيا ما يقارب الخمسين سنة تنتج مئات النصال الحاملة لاسمه وتوقيعه، حتى عمت جل أوروبا، بل نكاد نجزم أن كل مجموعات المتاحف الموجودة اليوم في فرنسا، إنجلترا، وإيطاليا، وحتى إسبانيا من صنع سولنجن، وفي أحسن الحالات فإن ثلاثة أرباعها من صنع ألماني⁵⁶.

المصنع أو الورشة	المعلم أو الحرفي	علامات الوسم	الفترة الزمنية
غرناطة	-		نهاية القرن 14 م وبداية القرن 15 م
طليطلة (Toledo)	جوليان ديل راي اسبانيا		منتصف القرن 16 م
سرقسطة (Saragosse)			القرن 18 م
باساو (Passau Wolf) (الذئب الألماني)	جوليان ديل راي		منتصف ونهاية القرن 16 م
سولينجين (Solingen)	بيتر ميونيخ Peter Munich		1595 - 1660 م
مقاطعة ستيريا (Styrie) النمسا	أندريا فيرارا ANDREA FERARA		منتصف القرن 16 م
انجلترا			القرنين 18 - 19 م
فاس	-		عمل فاس 1306 هـ / 1888 م

جدول بعلامات الوسم الأكثر تداولاً على سيوف النمشة المغربية

ثم انتشر توقيع أندريا فرارا على النصال الموظفة في سيوف النمشة مصحوبا بأهلة ستيريا، وهي زوج من الأهلة المتعكسة المسننة المنسوبة لمقاطعة ستيريا (styria) بالنمسا أين كانت عاصمتها قراتز (Gratz) تمتلك ترسانة تحوي معدات كاملة لصناعة الأسلحة والدروع، بقوة عاملة تعدادها ثمانية آلاف رجل، لا بد أنها ظهرت خلال حرب الثلاثين سنة، ووصل تعداد المجموعة المعروضة بها عددا مذهلا قدر بحوالي 26 ألف قطعة. كما ظهرت بإنجلترا معامل وورشات لصناعة

الأسلحة والسيوف بكل من شفيدل ولندن، ودار للصناعة في برمنغهام سنة 1845م، وبقيت هذه المصانع والورشات تمون حوض البحر الأبيض المتوسط والمغرب الإسلامي، وتحديدًا المغرب الأقصى بالنصال المخصصة لسيوف النمشة حتى مطلع القرن 19م.

(2) - المقبض والواقية

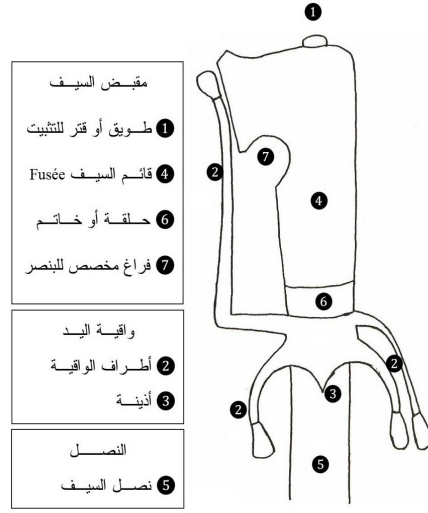
تعددت مقابض سيوف النمشة وتنوعت، ولكن بصورة أقل مقارنة بالنصال، فقد كان شكل المقبض مع بداية القرن 16م مقوسا، ثم مع تحور طابع الفن المغربي أصبح الشكل شيئا فشيئا هندسيا، ومع نهاية القرن 17م وبداية القرن 18م صار يشكل زاوية قائمة⁵⁷، وترتبط بقائم السيف الذي كُتِفَ مع راحة اليد بشكل جيد واقية ثبتت في مؤخرتها ناحية المقبض حلقة معدنية، وظيفتها زخرفية أكثر مما هي للإحكام، ويُمرَّرُ عبر جوف القائم نُصَيْل رقيق مضلع ينتهي بقبعة معدنية أو قتر، وأحيانا حلقة تثبيت تدعى الطويق وظيفتها شد القائم والنصيل معا حتى لا ينزلق هذا الأخير خارجا. كما جهز القائم في زاويته الداخلية بفراغ خصص لوضع إصبع البصر الغرض منه إحكام راحة اليد حول المقبض⁵⁸. وتعد مقابض سيوف نمشة زنجبار الأقرب مورفولوجيا إلى مقابض سيوف النمشة المغربية مع اختلاف بسيط في مؤخرة قائم المقبض، حيث تبدو مقابض السيوف المغربية أكثر تحويرا مقارنة بنظيراتها العمانية.

أما الواقية فهي محلية وأصيلة رغم بعض التأثيرات الشرقية عليها وبخاصة العربية منها، وهي تتكون من حلقة تتوسطها في جهتها السفلى أذينة وظيفتها تثبيت السيف حول فوهة الغمد، ويمتد على جانبي الحلقة زوجان من الفروع تدعى أطراف الواقية، حيث ينحدر زوجان منها جهة النصل ليشكلا قوسان يحميان اليد، والمعصم من الضربات التي يمكن أن تنزل على كلِّ السيف، في حين نفذت هذه الأطراف مضمومة ملتصقة في واقية سيوف زنجبار العربية.

أما طرفا الجهة الثانية فينحدر الطرف الأول منها نحو النصل، ويمتد الطرف الآخر نحو الجهة المعاكسة حتى يصل إلى نهاية المقبض بعد أن يكون زاوية قائمة لحماية أصابع اليد أثناء عمليات المبارزة، بينما يكون هذا الفرع أكثر تقوسا في السيوف العربية العمانية⁵⁹.



سيوف نمشة ذات نصال كريمة كفتت بالذهب
عمل مدينة فاس 1308 هـ / 1890 م



تفصيل لأجزاء مقبض سيف النمشة وأسمائه

(4) - القراب

يعد القراب أو الغمد آخر ما يصنع في السيوف بغرض حفظها، وتثمين مظهرها الجمالي لذا فقد تعددت الأغمد بحسب قيمة السيف وأهميته، ويشترط في ذلك دائما مراعاة المظهر الجمالي وتناسق الألوان، وتناغم المواد الموظفة في تحقيق ذلك، وعليه كان الغمد يصنع من مادة خشبية ثم يعمد الحرفي إلى تغليفه بقطعة نسيج من المخمل، مما تولد عنه تعدد ألوان هذه الأغمد بحسب لون الخميعة المستعملة في تغليفها، وأحيانا تغلف بجلد عادي أو جلد مطبوع ثم تحلى بالفضة أو النحاس.

ولتقلد السيف كان يثبت في جانبيه حلقتان تسمحان بتعليق السلاح، وغالبا ما تكون حلقتا التعليق هذه مثبتتين على جانبي الغمد، وهو أسلوب تشترك فيه أغلب السيوف العربية والتركية، أما الحلقتان اللتان ترتب فوق بعضها البعض ناحية ظهر الغمد فهو أسلوب فارسي بحث⁶⁰. كما تختلف الحمايل الموظفة في تقلد السيوف فمنها ما كان بسيطا عبارة عن حبل مضفور، أو جديلة من الخيوط الحريرية أو القيطان المضفورة، أما أجملها فما كان عبارة عن نطاقٍ حائله معلقة في عنق الفارس أو المحارب، حيث يصنع في شكل شريطٍ قوامه حميلة عريضة قليلة السمك يعلق بها السيف.

(6) - زخرفة سيوف النمشة

تختلف زخرفة هذه السيوف باختلاف المواد الموظفة في صنعها، وباختلاف ألوان هذه المواد، فمن حيث المادة

استعملت المواد المعدنية الثمينة كالذهب، والفضة، والنحاس وغيرها، ومن حيث طبيعة الألوان وظفت المواد الثمينة ذات الألوان الزاهية التي خست بها الأسلحة الفاخرة، ووظفت مواد أخرى أقل قيمة خست بها الأسلحة العادية الدائمة الاستعمال، فألوانها لا تضيي عليها جاذبية ألوان المواد الثمينة ولا نظارتها.

لقد تطورت الزخرفة وأخذت طابعا اجتماعيا وثقافيا، وأصبحت المواد المزخرفة للسيف بمثابة المرآة العاكسة لطبقات المجتمع وثقافته، ولما كانت الأسلحة حلية الرجال ورمز القبيلة والوجاهة في المجتمع، فقد وظفت مساحات نصال السيوف، والمقابض وواقياتها كمجال للتعبير عن هذه الروابط الاجتماعية، ووجد الفنانون وبخاصة الصاغة منهم هذا المجال مساحة حرة للتعبير عن مهاراتهم الفنية بأساليب مختلفة تماشيا مع رغبات، وأذواق زبائنهم.

وتعبيرا عن المكانة التي يحظى بها الزبون في مجتمعه أو الشخص الذي نريد أن نهديه هذه القطع، كان يوظف في صنع السلاح أثنى المواد وأغناها من حيث الزخرفة، لذا فقد كان للأغنياء والنبلاء القطع الفاخرة ذات النصال الجيدة التي تركب غالبا على واقيات غنية بالترصيعات الذهبية، والفضية، والمقابض العاجية الفاخرة المحلاة بالذهب أو الفضة، وأحيانا أخرى يوظف في صنع المقابض الأخشاب ذات النوعية الرفيعة.

وكان الأمير عبد القادر الجزائري يمتلك سيفا من هذا الطراز نصله من شفيلا الإنجليزية، ونفذت واقيته من الفضة لا بد أنه من هدايا سلطان المغرب مولاي عبد الرحمن، أما العامة فتركب لها سيوف عادية بواقيات من معادن أقل جودة كالحديد، ويعمل قائم مقابضها من الخشب، وفي أحسن الأحوال توظف في صنعها قرون وحيد القرن أو العاج المزين بتوريقات ذهبية نفذت بتقنية الضغط⁶¹.

كما كان للتطور التاريخي الذي عرفته مناطق العالم الإسلامي أثره الواضح على مجموع الزخارف التي طبعت فن المنطقة، فمُنذ أن اعتلى أحمد المنصور الملقب بالذهبي سدة الحكم بالمغرب الأقصى سنة (986 - 1011 هـ / 1578 - 1603 م)، تأثر بأصله العربي وبالمؤثرات المشرقية، فساهم في إدخال التجديد على طراز الفن المغربي للقرن 16 م، فإلى جانب العناصر المغربية الأندلسية (الشبكة، والتوريق، واللاتناظر... إلخ). الموروثة منذ عهد المرابطين والموحدين، والعهد المريني، أدخل السحاب الصيني المتوج الذي أعاره الصينيون للفرس، والحمامة المفصصة الممدودة بشكل مغزلي، والتاج، والأزهار، ومواضيع عديدة عرفت من قبل في القرون الماضية، ولكنها تطورت على عهده، وشاع استعمالها بداية من القرن 16 م⁶².

خاتمة:

وأخيرا خلصنا في هذا العرض إلى فك شفرات هذا السيف الأسطورة، الذي ولد توئما غير متطابق حوالي القرن 13 م بمعامل غرناطة من أب زناتي وأم أندلسية، حيث استقر التوأم الأول بغرناطة تحت مسمى السيف الزناتي (Espada Jineta - Zenata Sword)، وانتقل التوأم الثاني تحت اسم سيف النمشة في كنف أهله زناتة إلى موطنه الأصلي فط حيث حطوا واستقر به المقام حيث استقروا. ومنذ وقعة وادي المخازن القرن 16 م ذاع صيت هذا السيف وتبنته مدينة فاس بصورة رسمية على عهد المنصور الذهبي، ثم بلغ صدها شرق القارة الإفريقية حاملا معه أكاليل الغار والانتصار

فصار منذ القرن 17م زنجباريا بامتياز، وأدى مناسك الحج والعمرة بشبه الجزيرة العربية. وبذلك طالت رحلته في الزمان والمكان، واختلفت مشاربه ومضاربه، ليظهر من جديد لتأدية دوره بالجزائر عندما غزا الإسبان ميناء وهران 1732م، وخلال مقاومة الأمير عبد القادر للاستعمار الفرنسي مطلع القرن 19م وبعده.

لقد كان هذا السيف نصيرا للمظلومين والمكرومين في الأمة الإسلامية أين ما حل وارتحل، فذاع صيته في البقاع وشاع، وحمله الأعيان والرعاع، ولطول عمره وكثرة إلفه وتقلبه في الأرض، كثر نسله وتعدد نجله، واتحد جوهره وتعددت أشكاله وألوانه فحمل اسما جامعا هو سيف النمشة، واسما آخر مانعا فكان: زنجباريا، وجزائريا، ومغربيا، وأندلسيا. وبذلك فقد بعضاً من هويته الأصلية ليقع غريبا مجهولا وسط أهله، وفي خزانات المتاحف العالمية والوطنية كلا يحاول نسبته إلى نفسه.

الهوامش:

- 1- عبد الرحمن زكي، " السيف الإسلامي ومميزات أصنافها "، في مجلة قافلة الزيت، عدد 21، مجلد 27، ذو القعدة 1399 هـ / 1979م، ص 37.
- 2- ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ط4، دار إحياء التراث العربي، ج7، بيروت - لبنان، دت، ص3. وكذلك: القلقشندي: قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان، تحقيق: إبراهيم الأبياري، ط2، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني، 1982، ص 176.
- 3- تاريخ ابن خلدون، ج7، ص7.
- 4- أنظر: ابن الكلبي، نسب الخيل في الجاهلية والإسلام، تحقيق: نوري حمود القسي وحاتم صالح الضامن، مطبعة المجمع العراقي، بغداد 1985، ص ص 21-22. وكذلك: أبو عبيدة بن المثنى التميمي، كتاب الخيل، دائرة المعارف العثمانية، ط1، الهند 1358 هـ / 1939م، ص ص 2-4.
- 5- البغوي (الحسن بن مسعود)، شرح السنة، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - محمد زهير الشاوش، ط2، المكتب الإسلامي، دمشق - بيروت، 1403 هـ - 1983م، ج 10، ص 385.
- 6- البيهقي، سنن البيهقي الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ج6، مكتبة دار الباز، مكة المكرمة 1414 هـ / 1994، ص 329 - حديث رقم: 12669.
- 7- الطبراني، مسند الشاميين، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، ج1، مؤسسة الرسالة، ط1، بيروت 1984، ص 430 - حديث رقم: 756.
- 8- محمد بن الأمير عبد القادر الجزائري الحسني، عقد الأجياد في الصافنات الجياد، برجة مجلس معارف ولاية سورية الجليلية 1292، ص 4.
- 9- سفع بناصية فرسه جذب، والسفع قال المبرد الجذب بشدة، قال عمر بن معد يكرب: قوم إذ كثر الصباح رأيتمهم. . ما بين ملجم ممره أو سافع.
- أنظر: الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تفسير الآية 15 من سورة العلق.
- 10- أبو داود، سنن أبي داود، دار الكتاب العربي - بيروت، ج2، ص 346.
- 11- تاريخ ابن خلدون، ج7، ص2.

- 12- تاريخ ابن خلدون، ج7، ص2. وكذلك: السلاوي، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق وتعليق: جعفر الناصري، ومحمد الناصري، ج3، دار الكتاب، الدار البيضاء 1418هـ / 1997م، ص ص 3-4.
- 13- تاريخ ابن خلدون، ج7، ص192.
- 14- تاريخ ابن خلدون، ج7، ص192. وكذلك: السلاوي، الاستقصا. . . ص ص 39-40.
- 15- الفرس الولهاصي نسبة إلى ولهاصة إحدى القبائل الزناتية التي كانت تحترب تربية الخيل بالغرب الجزائري، وشرق تلمسان تنسب إليها الخيول الولهاصية، ومنطقة ولهاصة هي اليوم إحدى بلديات عين تيموشنت.
- 16- محمد بن الأمير عبد القادر الجزائري الحسني، المصدر السابق، ص 330.
- 17- لسان الدين ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، حققه: محمد عبد الله عنان، مج 1، ط2، مكتبة الخانجي، القاهرة 1973، ص 136. وكذلك: لسان الدين ابن الخطيب، اللوحة البدرية في الدولة النصرية، دراسة وتحقيق: محمد مسعود جبران، ط1، دار المد الإسلامي، لبنان 2009، ص 64.
- 18- لسان الدين ابن الخطيب، الإحاطة. . . ص 136. وكذلك: لسان الدين ابن الخطيب، اللوحة. . . ص 64.
- الْيَلْبُ: هي الترسّة وقيل الدَّرَق وقيل هي البيضُ تُصنع من جلود الإبل، وهي تُسوّجُ كانت تتخذ وتنسج وتجعل على الرؤوس مكان البيض. أنظر لسان العرب لابن منظور، شرح كلمة يلب. والمقصود هنا هو الدرفة المبطية.
- الأسل: الرماح الطوال والنبل. والأسلة طرف السّتان وقيل للقتال أسل لما ركب فيها من أطراف الأسلّة.
- 19- FELIX EDL VALLEYDIAZ, Historia de La Espada y su Damasquinado Hasta Carlos III, p 560.
- 20- JUAN F. RIANO, Industrial Arts In Spain, LONDON 1879, p 83.
- 21- روجيه لوتورنو، فاس في عهد بني مرين، ترجمة: نقولا زياد، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، بيروت - نيويورك 1967، ص 137.
- 22- عيسى الحريري، تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس في العصر المريني، ط2، دار القلم للنشر والتوزيع، الكويت 1985، ص ص 284-285.
- 23- أبي الحسن علي بن يوسف الحكيم، الدوحة المشتبكة في ضوابط دار السكة، تحقيق: حسين مؤنس، مجلة معهد الدراسات الإسلامية، المجلد 6، العدد 1-2، مدريد 1958، ص 177.
- 24- روجيه لوتورنو، نفس المرجع، ص 37.
- 25- عبد الرحمن زكي، "السيف الإسلامية. . ."، ص 37.
- 26- أحمد عادل كمال، الطريق إلى المدائن، ط6، دار النفائس، بيروت 1986، ص 78.
- 27- نفس المرجع، ص 77.
- 28- مجموعة مؤلفين، المسند الجامع، مجلد 15، ط1، دار الجليل، بيروت، الشركة المتحدة، الكويت، 1413هـ/1993، ص 579 - حديث رقم: 11954.
- 29- الغزالي، إحياء علوم الدين، دار المعرفة، ج1، بيروت، ص 82.
- 30- نفس المرجع، ج2، ص 112.
- 31- ALAIN Jacob, Armes blanches de L'islam, Collection a-b-c, Série A, juillet 1975, p 5.
- 32- أحمد بن علي القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، تحقيق: يوسف علي الطويل، ط1، دار الفكر، ج5، دمشق 1987، ص 198.

- 33- الشيخ عبد الحلي الكتاني، التراتيب الإدارية المسمى نظام الحكومة النبوية، تحقيق: عبد الله الخالدي، ط2، دار الكتاب العربي، بيروت دت، ص 279.
- 34- نفس المرجع، ص 280.
- 35- ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب، تحقيق: ليثي بروفنسال، المجلد الثاني، السلسلة الأولى، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة 1955، ص ص54-55.
- 36- روجيه لوتورنو، المرجع السابق، ص 138.
- 37- ابن الأحرر، تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان، تقديم وتحقيق: هاني سلامة، ط1، مكتبة الثقافة الدينية 2001، ص 16. وانظر: البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة دت، ص 77.
- 38- يعقوب بن إسحاق الكندي، "السيوف وأجناسها"، أخرجهما: عبد الرحمن زكي، في مجلة كلية الآداب، مجلد 14، ج 2، مطبعة جامعة فؤاد الأول 1952، ص 3.
- 39- أبي فارس عبد العزيز الفشتالي، مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفا، دراسة وتحقيق: عبد الكريم كريمة، مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية والثقافة، الرباط دت، ص 46.
- 40- الاستقصا، ج5، ص ص 91-92. وأنظر: محمد الصغير الإفرائي، نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي، تقديم وتحقيق: عبد اللطيف الشادلي، ط1، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء 1998، ص 151. وكذلك: الفشتالي، المصدر السابق، ص ص 48-49.
- 41- الفشتالي، نفس المصدر، ص 50.
- 42- الإفرائي، نفس المصدر، ص 141.
- 43- بيتر فاين، تراث عمان، دار إميل للنشر، وزارة التراث القومي والثقافة، عمان 1998، ص 78.
- 44- بيتر فاين، نفس المرجع، ص 81.
- التوفق (Tüfek): وهو اسم البندقية أو البارودة باللغة العثمانية، وأصبح اللفظ ساريا على الألسن بمنطقة عمان بعد المساعدات العثمانية التي تلافاها العانيون لطرد المستعمر البرتغالي سنوات 1550-1551م، و1581 1588م.
- 45- بيتر فاين، المرجع السابق، ص ص 83-85.
- 46- بدر الدين شعبي، أسلحة الأمير عبد القادر (1248-1263 هـ / 1832-1847م)، رسالة في الآثار الإسلامية لنيل شهادة الماجستير، جامعة الجزائر 2000-2001، ص ص 7-9. (رسالة غير منشورة)
- 47- EMERIT (M), L'Algérie à L'époque d'Abd-EL-Kader, éd Larose 11ème série, T. IV, 1951, p 11.
- 48- ARBOUSSE BASTID (T) et SENTIER (B), Arts et Armes d'Orient, premier tirage, imprimé Coëtquidan, 1996, p 93.
- 49- VIGY (P. de), " Les Sabres Marocains", in Hespéris, tome IV, 1924, pp 118-120.
- 50- HOEFER (F), L'empire du Maroc, dans l'univers pittoresque, tome V, Paris, Firmin didot 1848, p 278.
- 51- BUTTIN (Ch.), " Les poignards et Les Sabres Marocains", in Hespéris, tome XXVI, 1939, pp 23-24.
- 52- ANTHONY (N), Islamic Arms, first published 1985, p 30.

53- JUAN F. RIANO, Op, Cit, p 92.

54- J, J, RODRIGUEZ LORENTE, The Perrillo Mark of The Spanish Sword smith Julian Del Rey, GALADIUS, III, 1946, pp 97-98. et JUAN F. RIANO, Industrial Arts in Spain, LONDON 1879, pp 90-91.

55- مملكة بوهيميا: منطقة تاريخية في أوروبا الوسطى تحتل الأجزاء الغربية ومعظم الأجزاء الوسطى من جمهورية التشيك اليوم، وفي هذه الفترة كانت اللغة الألمانية اللغة السائدة بالمنطقة. وتعد جبال السوديت وجبال شومافا شمالا حدودا طبيعية لها، وتحد ألمانيا كل جهتها الغربية من الشمال حتى الجنوب، في حين تحد بولونيا شمالها الشرقي، وتقع النمسا جنوبها، ومنطقة مورافيا شرقها.

56- Arsenals and Armories in southern Germany and Austria, part I, by the BARON DE COSSON, FS. A. , F. R. G. S. in The Archaeological Journal, published under the direction of the Council of the Royal Archaeological Institute of Great Britain and Ireland, Vol. XLVIII, LONDON 1891, pp 123-124.

57- OLAGNIER-RITTO (Mme), Sabre Marocain de la fin du XVIe siècle, in Hespéris-Tamuda, Vol IV, fasc. 1-2, 1963, p 219.

58- VIGY, Op. Cit, p 18.

59- بدرالدين شعباني، المرجع السابق، ص ص 105-107.

60- BUTTIN (Ch.), Op. Cit, pp 27-28.

61- DULILAS (O), "Les Armes d'Abd-EL-Kader", Armes personnalisées, in La Gazette des armes et uniformes, N° 220, Mars 1992, p 39.

62- OLAGNIER-RITTO (Mme), Op. Cit, p 220.

